كلية : الاداب

القسم او الفرع :التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : الاستاذ الدكتور إيمان محمود حمادي العبيدي

اسم المادة باللغة العربية : الحضارة العربية الاسلامية

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Arab Islamic civilization

اسم المحاضرة الثالثة عشر باللغة العربية: النظام الاجتماعي

اسم المحاضرة الثالثة عشر باللغة الإنكليزية: social system

محتوى المحاضرة الثالثة عشر

فئات المجتمع العربي الاسلامي/ ج2

ثالثا: أهل الذمة:

وهم أهل الديانات السماوية الأخرى من اليهود والمسيحيين الذين بقوا على عقيدتهم وعاهدوا المسلمين على السلم ولذلك سموا كذلك (المعاهدون) او اهل الكتاب. ويمكن القول بصورة عامة أن أهل الذمة تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية والشخصية في المجتمع العربي الاسلامي حيث مارسوا طقوسهم الدينية وخضعوا في الأحوال الشخصية الي رؤسائهم الروحانيين.

وقد ضرب الرسول (ﷺ) المثل في حسنن المعاملة والتعايش حين كتب عهدا لأهل أيلة أعطاهم فيه حريتهم في العمل وانه (لا يحل أن يمنعوا ماء يوردونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر) وهناك أمثلة اخرى كثيرة على مرونة اجراءات الرسول (ﷺ) تجاه الذميين.

أعفى الإسلام أهل الذمة من الخدمة العسكرية حيث أصبحوا في ذمة المسلمين الذين يدافعون عنهم مقابل دفع ضريبة محدودة هي الجزية، وكان مقدار الجزية كبيرا قبل الإسلام حين عاش الذميون تحت سيطرة الساسانيين او البيزنطيين، أما الدولة العربية الاسلامية فقد حددته بدينار واحد في السنة تقريبا على عهد الرسول (ﷺ) ثم قسمهم عمر بن الخطاب الى ثلاثة اصناف الغني يدفع أربعة دنانير والمتوسط دينارين والفقير دينارا واحدا ويعفى من الضريبة العاجز والامرأة والطفل وكذلك الراهب الفقير وهكذا تركت الارض والبساتين التابعة لأهل الذمة في البلاد المفتوحة بأيديهم يدفعون عنها خراجا حسب المقادير التي شرعها الشارع الاسلامي. وقد اوصى عمر بن الخطاب عماله على الاقاليم بأهل الذمة خيرا فقال: (ويكونون [اهل الذمة] عماد الأرض فهم أصحابها واقوى عليها ولا سبيل لك عليهم ولا للمسلمين معك أن تجعلهم فيئا. وتقسمهم للصلح الذي جرى بينك وبينهم وأخذك الجزية منهم بقدر طاقتهم... فاضرب عليهم الجزية وكف عنهم المسيء وامنع المسلمين من ظلمهم والأضرار بهم... ووف لهم بشرطهم الذي شرطت لهم في جميع ما اعطيتهم).والاكثر من ذلك فان الدولة في صدر الإسلام كانت تصرف على ذوي العاهات المزمنة كالمجذومين من اهل الذمة وذلك بإعطائهم من الصدقات كما فعل عمر بن الخطاب مع نصارى الجابية سنة ١٨ه وكما فعل عمر بن عبد العزيز مع اهل الذمة من العجزة عامة.

لقد تركت الدولة العربية الاسلامية اراضي اهل الذمة بيد اصحابها يزرعونها ويؤدون عنها كما فسح المجال للذميين لشغل المناصب الإدارية ولاسيما في الدواوين واستعانوا بالذمىين كتابا للخلفاء واطباء في البلاط وصرافين في الاسواق.

ان اهل الذمة تمتعوا بقسط كبير من العدالة في المجتمع الإسلامي لم يجدوه من قبل ولذلك عبر احد بطارقتهم بقوله: (أن العرب الذين مكنهم الرب يعاملوننا معاملة حسنة على انهم ليسوا اعداء النصرانية بل يخدمون ملتنا ويوقرون قسيسنا ويمدون يد المعونة الى كنائسنا واديرتنا).واذا كان لنا أن نذكر اشهر الذميين المقربين للبلاط الأموي في هذه الفترة فلابد أن نذكر ان كاتب عبد الملك بن مروان كان نصرانيا وان مؤدب عبد العزيز بن مروان كان كذلك. اما ابن بطريق النصراني فقد اتخذه سليمان ابن عبد الملك كاتبا له وهو الذي أشار عليه ببناء الرملة، وكان لهشام ابن عبد الملك كاتب نصراني كذلك قلده فيما بعد ديوان حمص.ومن اشهر اطباء دمشق من النصارى ابن اثال وأبو الحكم النصران وماسرجون اليهودي وكانوا مقربين الى الخلفاء، كما اشتهر في هذه الفترة العديد من النصارى الذين بدأوا بترجمة علوم اليونان الى السريانية والعربية.وفي العصر العباسي امتهن اهل الذمة الصيرفة والجهبذة والتجارة والطب والكتابة والحركة الفكرية وقد

ولي المأمون على احدى المدن المصرية عاملا مسيحيا فكان اذا جاء يوم الجمعة ليس السواد وتقلد السيف وذهب الى المسجد حتى اذا وصل باب المسجد أناب عنه أحد المسلمين ليصلي بالناس ويظهر من ذلك أن أهل الذمة تمتعوا بالحرية مقابل اداء الجزية والخراج وارتبطت قضاياهم المدنية والجنائية برؤسائهم الروحيين ما دامت القضية لا تمس المسلمين، وقد أنشئ في العصر العباسي ديوان للنظر في امور اهل الذمة اطلق عليه ديوان الجوالي يتولاه رجل من المسلمين وقد انتظم امر هذه الجاليات واحصيت نفوسهم وجعل لهم رؤساء، فرئيس النصارى يسمى الجاثليق ورئيس اليهود يسمى رأس الجالوت وقد اصدر الخليفة المقتدر سنة ٣١١ ه- 923م كتابا أمر فيه بان ترد تركة من مات من أهل الذمة على اهل ملته ان لم يكن له وارث بينما كانت تركة المسلم ترد الى بيت المال ان لم يكن له وأرث.

وبالرغم من بعض القيود التي فرضت على اهل الذمة احيانا حيث امر الرشيد ثم المتوكل والمستظهر والمسترشد بالله بان يلبس اهل الذمة ملابس تختلف عن ملابس المسلمين وأن لا يستعان بهم في الدواوين.

كما اصدر المقتدر امرا بإقصائهم من الوظائف الا الطب والجهبذة فان هذه التعليمات مؤقتة اقتضتها ظروف معينة ولم تكن تنفذ بحذافيرها. لقد اعترف بعض المستشرقين بحسن معاملة أهل الذمة فيقول ارنولد في كتابه (الدعوة إلى الاسلام) أن المسلمين لم يألوا جهدا في معاملة رعاياهم المسيحين. واكد بار تولد في كتابه (الحضارة الاسلامية) أن النصارى كانوا احسن حالات تحت حكم المسلمين، كما ينكر جولد زيهر في كتابه (العقيدة والشريعة) أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم المدنية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل، ويذكر شد ان العرب عاملوا النصارى واليهود معاملة ابرز ما تمتاز به التسامح.

ولم يكن الناس يجبرون الجواري الذميات على ترك دينهن فقد كان للمهدي جارية نصرانية تعلق على صدرها صليبا من ذهب ويشير الشابشتي في كتابه (الديارات) بأن هذه الأماكن كانت مناسبة جدا للاحتفالات والنزهة والترفيه. وكان المسلمون يؤمونها اوقات الفراغ. ومن اهم الديارات قرب بغداد دير قوطا في قرية البردان على دجلة وكان بينه وبين بغداد بساتين ومتنزهات متتابعة.

وشارك اهل الذمة في الحركة العلمية ولا سيما الترجمة من اليونانية والسريانية الى العربية ومن اشهرهم حنين بن اسحق ويوحنا بن البطريق ومن الأطباء المشهورين جورجيس بن بختيشوع ويوحنا بن ماسوية وسهل ابن سابور ومن المتجميين ما شاء الله اليهودي وتوفيل بن توما وسند ابن علي اليهودي.

كما عمل اهل الذمة في دواوين الدولة وشاركوا في عملية التعريب الإدارية والمالية، وكان لعلمهم بعدة لغات سببا في ارسالهم سفراء في بعض المهمات الى الدولة البيزنطية او الفرنك او غيرهم.

<u>رابعا: الرقيق:</u>

يبدو أن الرق كان قائما منذ أزمنة موغلة في القدم، ويعد الرقم ظهرا من مظاهر التفاوت الحاد في المجتمع الواحد.

وحين جاء الإسلام ادخل على هذا النظام تعديلات ووضع له قيودا بحيث تخفف منه كثيرا وتؤدي به إلى الزوال التدريجي. فقد ورد في القران الكريم العديد من الآيات حول الرق متنوعة الأهداف والاساليب. نستنتج منها أن الرق كان شائعا في المجتمع العربي قبل الاسلام

وان الرجال والنساء كانوا يملكون الرقيق، وكان يملك العبد او الأمة أحيانا اكثر من مالك واحد شراكة، وكان الرقيق يسخرون بأعمال متنوعة ويباعون ويوهبون.

وكان الرقيق ينشأ اما من اسرى الحروب (رقيق الخمس) او التجارة وقد زاد في صدر الاسلام بسبب الفتوحات والرفاه الاقتصادي وكان بعض الأمراء يقدم الرقيق بدل الضريبة أو هدية للخليفة وحث القران في آيات عديدة على حسن معاملة الرقيق بل اكثر من ذلك شجع على تحرير الرقيق وعد ذلك مخرجا للتفكير عن الذنوب قال تعالى: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ (البلد 11-13)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ (النساء 92).

والواقع أن الإسلام جعل للعبيد حقوقا في المجتمع الذي يعيشون فيه، وحرر الاسلام العبيد الذي يلتجؤون من دار الحرب الى دار الاسلام. واصبح للعبيد حقوق اجتماعية في الزواج وامتلاك الأموال وأوضح القرآن حق العبد في الحياة فكتب القصاص على من قتل عبدا ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ﴾ (البقرة 178).

وحصل العديد من العبيد على ثقة أسيادهم فأصبحوا وكلاء لأسيادهم في التجارة والزراعة وغدا عدد منهم يعمل في الحرف والصناعة والتجارة وهم (العبيد المأذونين)، وكان العبيد يختلفون من حيث المنزلة والثقافة والمهن والأصل.

ومن ناحية اخرى فان الازدهار الاقتصادي يؤدي الى زيادة شراء العبيد في المجتمع وعلى نطاق واسع بسبب الحاجة الى الايدي العاملة في الزراعة والصناعة والتجارة والملاحة وكذلك في الجيش والخدمة في المنازل ومع ذلك كله فان مكانة العبيد بصورة عامة بقيت اقل من مكانة الأحرار وان حقوقهم دون شك اقل من حقوق أسيادهم. ولكن لابد من الإشارة بان هذه الفئة من المجتمع لم تكن معزولة أو مقفلة على نفسها كما كانت حالتها في مجتمعات أوربا الوسيطة أم مجتمعات اسيوية غير اسلامية، ومع ذلك كانت الجواري يتنافسن في العثور على بيت مترف حيث تتحسن احوالهن الماشية والاجتماعية فيه.

لقد حضت أحاديث الرسول (ﷺ) على حسن معاملة الرقيق واطعامه وكسوته، بالمعروف، ولا يكلف من العمل مالا يطيق، وكان من اعمال المحتسب في الاقاليم الاسلامية ملاحظة تطبيق هذه القواعد في معاملة الرقيق كما وان قيم الرقيق كان يراقب اسواق الرقيق. مراقبة حازمة وقد أباح الاسلام زواج الرقيق، وقد جاء في القران الكريم: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ (النور 32). وفي الحديث الشريف من اعتق أمة ثم تزوجها كان له أجران.

أهم مصادر المادة:

- فاروق عمر فوزي ، تاريخ النظم الاسلامية
- عبد العزيز الدوري ،النظم الاسلامية
- الحضارة العربية الاسلامية ،احمد شلبي
- حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية
- النظم الاسلامية ، توفيق سلطان اليوزبكي